المركز
الثقافي الإحقاقي

عقيدتنا في الله عزوجل

زمزم منصور القطان

٢٠٢٢م – ٢٠٢٣م

المركز الثقافي
الإحقاقي

عقيدتنا في الله عزوجل

زمزم منصور القطان

الأوحد
موقع الأوحد
Awhad.com
٢٠٢٢م - ٢٠٢٣م

المقدمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـد لله على آلائه وله الشكر على نعمائـه وأفضل صلواته وتحياته علـى محمـد وآل محمد ﷺ الطيبـين الطاهرين واللعنة علـى أعدائهم ومنكرين فضائلهم من الآن إلى يوم الدين.

منهـج الإسلام يرتكـز على ثلاثة محـاور: عقيدة (أصـول الدين)- أحكام شرعية (فقه) - أخلاق.

علمـا بـان هـذه الثلاثة متزامنـة متوازيـة لا تنفك واحـدة منها عن الأخـرى، إلا أن المقـدم فيها هـو علم الحكمة أو ما نطلـق عليه العقيدة، طالما دراستنا تدور حول العقيدة فماذا نعرف عن عقيدتنا؟

الكثـير منّا يعتقد أن الله عز وجل في السمـاء إذا سألته أين الله في السماء أم في الأرض؟ الكثير يعتقد أن الله عز وجل في السماء والدليل إذا رأينـا حـذاء مقلوب مـاذا نفعـل؟ نعدلـه، وإذا سألته لمـاذا؟ يقول: احتراماً إلى الله تعالى، يعني أن الله عز وجل في السماء، وهذا يعني أن الله موجود في السماء ولا يكون موجود في الأرض، وإذا سألته ما معنى (الله أكبر) يقول معناه أن الله سبحانه أكبر من كل شيء. وهذا لا يجوز (الله أكبر) بمعنى الله أكبر من أن يوصف

كذلـك وإذا قلنا ما معنى الآية ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾[1] يقول بمعنى الرسول ﷺ في طرف، والله عز وجل في طرف آخر كذلـك الآية في قولـه: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[2] هل يعني أن الله عز وجل له يد مثلنا؟

(١) سورة النجم: آية ٨-٩.

(٢) سورة الفتح: آية ١٠.

فـي كل الحـالات نحن نُجسم الله، إذن نحـن لا نعرف الله عز وجل، فكيف ندّعي حبنا إلى الله سبحانه وتعالى ونحن لا نعرفه؟!

وكيـف نعبد الله سبحانه من غير معرفة، وأمير المؤمنين عليه السلام يقول: «**أول الدين معرفته**»[1] فمن لا يعرف لا يمكن له العبادة للصحيحة.

وقـال أبا عبدالله الحسين عليه السلام: «**إنما يعبد الله من عرف الله، وأما من لا يعرف الله كأنما يعبد غيره**».

هـذه الـدورة دراستنا تكون في العقيدة حتى تكـون قلوبنا معقودة مع الله عـز وجل، لذلك قـال أمير المؤمنين عليه السلام: «**ما نظـرت إلى شيء إلاّ ورأيت الله قبله وبعده وفيه**»[2].

زمزم منصور القطان

(١) نهج البلاغة: خطبة رقم (١)، ص١٤.
(٢) جواهر الحكم للسيد كاظم: ج٦، ص١٤٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الأول

أهداف الدرس

١- خلق الله الخلق لعبادته المترتبة على معرفته
٢- معرفة ذات الله تبارك وتعالى محال عقلاً و نقلاً
٣- بالفطرة و العقل نستدل على وجود الله سبحانه و تعالى

أصول الدين على قسمين:

١- **أصول الإسلام:** وهي ثلاثة يتفق بها جميع المسلمين وهي: التوحيد - النبوة - المعاد الجسماني. فمن أقرّ بها حُقن عمره وماله وعرضه، ومن ينكر أي واحد منها فهو كافر.

٢- **أصول الإيمان:** وهي أرفع درجة من سابقتها، قوله تعالى ﴿۞ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾[1].

ومن يريد أن يصل إلى هذه الدرجة عليه أن يعتقد بالعدل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾[2] ويعتقد بإمامة أهل البيت (ع).

إذاً أصول الإيمان هي: التوحيد - العدل - النبوة - الإمامة - المعاد الجسماني، ومن ينكر أحد أصول الإيمان مثل العدل والإمامة فهو ليس بشيعي جعفري.

هذه الأصول الخمسة (التوحيد - العدل - النبوة - الإمامة - المعاد الجسماني)، لا يجوز التقليد فيها بل يجب الاعتقاد بها اعتقاداً قلبياً بالدليل والبرهان، كذلك يجب أن يكون الاعتقاد باليقين والإيمان لا بالظن والتخمين.

(١) سورة الحجرات: آية ١٤.
(٢) سورة الأنفال: آية ٥١.

دراستنا في هذه الدورة حول أول أصل من أصول الدين وهو التوحيد.

- التوحيد:

معنى التوحيد هو يجب الاعتقاد بوجود الله سبحانه وتعالى وتنزيهه عن الشريك، إنه الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، قوله تعالى ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[1].

هل نحتاج إلى دليل لإثبات وجود الله عز وجل؟

لا نحتاج إلى أي دليل أو برهان لإثبات وجود الله عز وجل لأن وجوده أمر وجداني لا شك فيه، جميع العقلاء وجميع الخلق بغض النظر عن أديانهم ومذاهبهم يجدون في أنفسهم أنه لا بد من وجود خالق ومكون ولا بد من وجود رازقاً وهذا أمر فطري عند الإنسان لذلك يقول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: «**يولد المولود على الفطرة فأبواه يهودانه أو يُنصرانه أو يُمجسانه**»[2]، عندما سُئل الإمام الصادق عليه السلام: وأيُّ فطرة يولد عليها؟ قال عليه السلام: فطرة التوحيد، أي أن الأصل في الإنسان يولد وهو مُوحد، حيث أودع الله سبحانه في فطرة الإنسان معرفته كذلك جميع المخلوقات ما من موجود إلاّ ويعرف الله سبحانه ويعرف التوحيد قوله ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾[3] بأن القرآن يثبت الفطرة لكل موجود والتسبيح نتيجة المعرفة والعلم والإدراك والشعور والفهم.

أي تأثير للبيئة على الإنسان وتأثير الأم والأب، لكن لو تُرك الطفل هو وفطرته تجده يوحد الله عز وجل بفطرته من دون حاجة إلى دليل

---

(١) سورة الأنبياء: آية ٢٢.

(٢) التوحيد للصدوق: ص٢٩٠.

(٣) سورة الإسراء: آية ٤٤.

أو برهـان، وهذا ما يؤكده القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[1].

عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال: جاء حبر إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقـال: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربـك حين عبدته؟ قال عليه السلام: ويلك ما كنـت أعبد ربـاً لم أره، قال: وكيـف رأيته؟ قال عليه السلام: «**ويلـك لا تدركه العيون في مشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان**»[2].

إذن الفطرة تدل على وجود الله سبحانه وتعالى.

- ومن النماذج التي تدل على وجود الله عز وجل بالفطرة:

١- روايـة عـن الإمام الصادق عليه السلام: جاء رجـل إلى الإمام الصادق عليه السلام وقال له: يا بن رسول الله: دلني على الله ؟ كيف أعرف الله؟

قال عليه السلام: أركبت في سفينه البحر؟ قال: نعم.

قال عليه السلام: وانكسرت فيك السفينة؟ قال: نعم.

قـال عليه السلام: وحينما شارفت على الغرق ألم يتعلق قلبك بأنه لا يُنجيك إلاّ واحد؟ قال: نعم، قال عليه السلام: ذلك الذي تعلق قلبك به ليس هو إلاّ الله عز وجل لأنه إذا أنسدت كل الأبواب فلا يوجد إلاّ باب الله عز وجل.

٢- مرّ النبي صلى الله عليه وآله مع أصحابه على إمرأة عجوز تغزل بمغزلها فسألها النبي صلى الله عليه وآله: كيف عرفت ربك؟ فكانت العجوز تُحرك المغزل ثم أوقفته ثم أعادت تحريكه، فالتفت النبي صلى الله عليه وآله إلى أصحابه وقال لهم: إن هذه المرأة عرفت ربها[3].

(١) سورة إبراهيم: آية ١٠.
(٢) التوحيد للصدوق: ص١٠٩، أصول الكافي: ج١، ص٩٨.
(٣) من كتاب حياة النفس وأصول الدين: ص٨٧-٨٨، وأصول الدين ص٩.

تعجبوا وقالوا: كيف عرفت ربها ولم تنطق بأي كلمة؟!

قال ﷺ: أما رأيتم أنها أوقفت مغزلها، ثم بعد ذلك حركته ثانية؟

قالوا: نعم، وما معنى ذلك؟

قال ﷺ: إن هذه المرأة تقول: كما أن هذا المغزل يحتاج إلى مثلي في حركته وفعله، كذلك الأفلاك، فلا بدّ لها من مدبّر.

فما بال الكون العظيم الفسيح؟! لا بُد أن له خالق خلقه مدبره ومُسيّره في نظام دقيق وهو الله عز وجل.

٣- سُئل أعرابي: كيف عرفت الله عز وجل؟ قال: البعرة تدل على البعير، وأثر الأقدام تدل على المسير، أفسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج لا تدلان على اللطيف الخبير[١]؟!

هنا الأعرابي ببساطته يدل على وجود الله عز وجل بواسطة العلة والمعلول وأن لكل مصنوع صانع.

٤- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾[٢].

سأل أحد الأشخاص الإمام المعصوم عليه السلام: ما معنى إن الله في السماء وفي الأرض؟

قال عليه السلام: ما اسمك؟ قال: محمد.

قال عليه السلام: من أين أنت؟ قال: من الكوفة.

قال عليه السلام: إذا ذهبت البصرة ما إسمك؟ قال: محمد.

(١) حياة النفس وأصول الدين: ص٨٨ وص١٠.
(٢) سورة الزخرف: آية ٨٤.

قـال عليه السلام: أجبت على سؤالـك أي أن الله واحد وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد، لا يتغير وأنت محمد سواء كنت في الكوفة أو البصرة أو الشام.

٥- صف لنا ربك

قال الملحدون للإمام أمير المؤمنين (ع)

في أي سنة وجد ربك؟

قال (ع) : الله موجود قبل التاريخ و الأزمنة لا أول لوجوده

قال لهم: ماذا قبل الأربعة؟

قالوا: ثلاثة

قال: ماذا قبل الثلاثة؟

قالوا: اثنان

قال لهم: ماذا قبل الإثنين؟

قالوا: واحد

قال لهم: و ما قبل الواحد؟

قالوا: لا شيء قبله

قال لهم: إذا كان الواحد الحسابي لا شيء قبله فكيف بالواحد الحقيقي و هو الله، إنه قديم لا أول لوجوده

قالوا: في أي جهة يتجه ربك؟

قال (ع): لو أحضرتم مصباحاً في مكان مظلم إلى أي جهة يتجه النور؟

قالوا: في كل مكان

قال(ع): إذا كان هذا النور الصناعي فكيف بنور السماوات و الأرض؟

قالوا: عرّفنا شيئاً عن ذات ربك أهي صلبة كالحديد أو سائلة كالماء أو غازية كالدخان والبخار؟

فقال (ع): هل جلستم بجوار مريض مشرف على النزع الأخير؟

قالوا: جلسنا

قال (ع): هل كلّمكم بعدما أسكته الموت؟

قالوا: كلا

قال (ع): هل كان قبل الموت يتكلم و يتحرك؟

قالوا: نعم

قال (ع): ما الذي غيره؟

قالوا: خروج روحه

قال (ع): أخرجت روحه؟

قالوا: نعم

قال (ع): صفوا لي هذه الروح؟ أهي صلبة كالحديد أم سائلة كالماء أم غازية كالبخار؟

قالوا: لا نعرف عنها شيئاً

قال (ع): إذا كانت الروح المخلوقة لا يمكنكم الوصول إلى كنهها، فكيف تريدون مني أن أصف لكم الذات الإلهي! ؟

إذن إثبات وجود الله تبارك وتعالى إنما هو أمر فطري وأنه أمر لا يمكن التشكيك فيه بالأدلة الكثيرة التي ذكرناها.

ومن الأدلة التي ينبغي الاستدلال به أو الذي يتناسب الاستدلال به هو دليل العقل.

رواية في الكافي أنّه رجلاً (عبدالله الديصاني) دخل على الإمام الصادق عليه السلام وقال: يا جعفر ابن محمد دُلني على معبودي؟ (وهذا يدل على أن هذا الشخص يريد دليل عقلي)، فالتفت إليه الإمام عليه السلام وقال: اجلس وإذا بغلام له صغير في كفّه بيضة يلعب بها، فقال عليه السلام: ناولني يا غلام البيض، فناوله إياها، فقال عليه السلام له: يا ديصاني هذا حصن مكنون له جلد غليظ وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق، تحت الجلد الرقيق ذهبة مانعة وفضة ذائبة، فلا الذهبة المانعة تختلط بالفضة الذائبة، ولا الفضة الذائبة تختلط بالذهبة المعانعة، فهي على حالها لم يخرج منها خارج مصلح فيخبر عن صلاحها، ولا دخل فيها مفسد فيخبر عن فسادها، لا يدري أللذكر خلقت أم للأنثى، تنفلق عن مثل الوان الطواوسي أترى لها مدبراً؟ قال فأطرق ملياً ثم قال: أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأنك إمام وحجة من الله على خلقه. هنا الإمام استدل بدليل العقل، العقل والفطرة يدلان على وجود الله سبحانه وتعالى.

سُئل رسول الله صلى الله عليه وآله: ما رأس العلم؟

قال صلى الله عليه وآله: معرفة الله حق معرفته.

فقيل: وما حق معرفته؟

قال صلى الله عليه وآله: أن تعرفه بلا مثل ولا شبيه، وتعرفه إلهاً واحداً خالقاً قادراً أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، لا كفء له ولا مثل له فذاك معرفة الله حق معرفته.

الدس الثاني
كيفية معرفة الله عز وجل

أهداف

١- الهدف من خلق الله عز و جل للإنسان
٢- الطريق الوحيد لمعرفة الله سبحانه هو طريق آثاره و آياته
٣- الفرق بين الآثار الأنفسية و الآثار الآفاقية

قد يسأل سائل لماذا خلقنا الله عز وجل؟

البعض يرى وجودنا في هذا العالم صدفة والبعض قال خُلقنا عبثاً لا ندري من أين جئنا ولا ندري إلى أين نذهب؟ والله يقول: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾[١].

وقسم آخر من الناس يعتقد أن الله عز وجل خلقنا لأنه محتاج إلينا وهذا ليس صحيح لأن الخالق لا يكون محتاجاً لأحد بل هو الغني المطلق والكل يحتاج إليه.

وهذا ما يؤكده الشيخ محمد أبو خمسين: قال الشيخ محمد أبو خمسين في كتابه منار العارفين وبغية العابدين: إنّ ما نقله سيد الموحّدين من التوراة «**يا ابن آدم خلقت الأشياء كلها لأجلك وخلقتك لعبادتي، فلا تهمل ما خلقتك لأجله وتشتغل في ما خلقته لأجلك**»[٢]، وإنما أوجدهم لغاية وحكمة ولا شك أنهما راجعتان إليهم لا إليه تعالى، لأنه غني في حدِّ ذاته وكامل في صفاته غير محتاج إلى وجود مخلوقاته لأن الاحتياج نقص وهو منزّه عنه لهذا قال سفيره الإمام الحسين عليه السلام: «**إلهي أنت الغني بذاتك عن أن يصل إليك النفع منك فكيف لا تكون غنياً**»[٣].

الجواب على هذا السؤال: أن سبب خلقنا هو لثلاث غايات هي:

١- خلق الله عز وجل الخلق ليوصلهم إلى السعادة الأبدية وإلى الجنة،

(١) سورة المؤمنون: آية ١١٥.
(٢) منار العارفين وبغية العابدين: ص١٩.
(٣) دعاء الحسين عليه السلام في عرفة.

الله سبحانه وتعالى لم يخلقنا من أجل النار أو ليعذبنا إنما خلقنا ليظهر جوده وكرمه من خلال وصولنا إلى الجنة وهذا لا يكون إلاّ باستحقاق.

٢- الغاية الثانية التي يتحقق من خلالها الحكمة من وصولنا إلى ذلك المقام العالي هي العبادة التي هي طريق التقرب إلى الله تعالى، قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

٣- الغاية المهمة التي لا تكون العبادة إلاّ بها هي المعرفة لأن لا تقرّب إلى الله تعالى إلاّ بمعرفة سابقة له عز وجل لذا كان (أول الدين معرفته) كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**فمن لا يعرف لا يمكن له العبادة**».

إذن الله تعالى ما خلق الخلق إلاّ لعبادته المترتبة على معرفته، قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١]، وليس المقصود هنا معرفة الذات (الطريق مسدود والطلب مردود) فمعرفة ذات الله سبحانه محال عقلاً ونقلاً قوله تعالى ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾[٢].

لأنه لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار لعدم وجود مناسبة بين المدرِك والمدرَك وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[٣].

وقال الإمام زين العابدين؟ في مناجاة العارفين: «**ولم تجعل للخلق طريقاً إلى معرفتك إلاّ بالعجز عن معرفتك**»، فمعرفتنا عنه سبحانه وجوده، يعني نعلم باليقين بأن للعالم موجد صاحب ومستجمع للصفات الكمالية.

القرآن الكريم يدعو إلى طرق متعددة للوصول إلى الله سبحانه وتعالى والتعرّف عليه ويمكن تقسيم الطرق إلى طريقين أساسيين:

---

(١) سورة الذاريات: آية ٥٦.
(٢) سورة طه: آية ١١٠.
(٣) سورة الشورى: آية ١١.

الطريق الأول: يعتمد على الفطرة، يعني أنت من خلال فطرتك تستطيع أن تصل إلى معرفة الله سبحانه وتعالى وهي الفطرة المشار إليها في الآية القرآنية قوله تعالى ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾[1]، أي أن الله سبحانه أودع في فطرة كل موجود بالخصوص الإنسان أنه موحد، وهذه الفطرة تؤثر عليها مؤثرات خارجية وداخلية وثقافية وإجتماعية وتربوية وعلمية، هذه تجتمع وتكون ريّن على القلب والفطرة فلا يستطيع الإنسان الوصول إلى الحقيقة، عند ذلك يأتي دور الأدلة والبراهين في الآية ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ لتُنبه النفس وتوجيه النفس بأنها عالمة بالتوحيد وهذا هو الطريق الثاني لمعرفة الله سبحانه عن طريق آثار الآيات.

الطريق الثاني: لمعرفته سبحانه هو طريق آثاره والآيات[2] المخلوقة من الآفاق والأنفس كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**دليله آياته ووجوده إثباته**» فالآيات والآثار المطروحة على مسرح الكون كلها تجليات وتعرفات الحق سبحانه بنفسها لا بذاته قوله تعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[3]. إذا علم الإنسان بوجود حقيقة التوحيد كامنة في فطرته عند ذلك يستطيع أن يرجع إليها وينتفع بها.

وإذا سألنا أنفسنا كيف نعرف الله عز وجل عن طريق الآثار والآفاق والأنفس؟

---

(١) سورة الروم: آية ٣٠.

(٢) الآثار والآيات كلاهما بمعنى العلامة ولكن الفرق بينهما إن الآثار تدل على المؤثر فقط بينما الآيات هي علامة وفيها إعجاز لذلك سُمّي أمير المؤمنين عليه السلام آية الله العظمى.

(٣) سورة فصلت: آية ٥٣.

العلمـاء يطرحـون مجموعة من الطـرق التي من خـلال التفكر فيها والتدبـر فيها نعرف الله عز وجل معرفـة إجمالية وليست تفصيلية، تلك المعرفـة التي أرادها الله عز وجل منّـا، والطرق لمعرفة الله سبحانه ليس لهـا حصر بل كما قـال بعض العلمـاء: «**أن الطرق لمعرفـة الله عز وجل هـي بعدد أنفاس الخلائق**» وهذا ما أشار إليه بعض الحكماء حينما قال «**وفي كل شيء له آية، تدل على أنه واحد**».

هناك ثلاثة طرق لمعرفة الله عز وجل الآثاريةوهي:

١- معرفة الكتاب التكويني، وهو بدوره عبارة عن:

(أ) العالم الأنفسي (الإنسان)

(ب) العالم الآفاقي (الكون الفسيح).

٢- معرفة الكتاب التدويني (القرآن الكريم).

٣- معرفة الكتاب الناطق (أهل العصمة والطهارة).

أولاً: الكتاب التكويني (أ) العالم الأنفسي (الإنسان):

يقصـد بـه الإنسان الـذي يعتبر عالم بحـد ذاته لكن عـالم مصغراً بالنسبـة للعالم الأكبر (الكون) وهذا ما أشـار إليه أمير المؤمنين عليه السلام عندما قال:

أتزعـم أنك جـرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

الإنسـان إذا أراد معرفـة الله عـز وجـل عليه أولاً أن يفكـر في نفسه وجسمه وفـي جميع أعضاءه وأجهزة هذا الجسـم ووظائفها، ودقة هذا النظام ووظيفته الذي إلى الآن عجز العلماء في معرفته.

بالرغم من وصول العلماء إلى أحدث ما وصلوا إليه في الطب والجراحة والاكتشافات إلاّ أنهم عجزوا في معرفة أشياء كثيرة منها الدماغ الذي لا يتجاوز قبضة اليد الواحدة لكنه في كل نقطة في كل من أجزائه نجد أن الله عز وجل جعل لها وظيفة دقيقة متميزة لا يمكن لأحد أن يصنع مثلها.

وخير مثال أن بعض علماء الغرب فريق كامل بعد دراسة طويلة واجتهاد في معرفة وظائف الدماغ أعلنوا بعد مدة إلى اكتشاف عظيم وهو إن مقدمة الدماغ وطبيعته هو مصدر الخطأ والكذب عند الإنسان، فترتب على هذا الاكتشاف مؤتمرات في أنحاء العالم وكان آخرها عقد في مصر (القاهرة) وبعدما عرض العالم الغربي هذا الاكتشاف قابله أحد علماء المصريين المسلمين وقال له أن هذا الاكتشاف اكتشفه نبي الإسلام محمد ﷺ قبل ١٤٠٠ سنة وهو موجود في الكتاب المقدس (القرآن الكريم) ثم قرأ عليه الآية الدالة على ذلك قوله تعالى ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ﴾[1].

وبعد البحث الطويل عرف هذا العالم أحقية هذا الدين فاعتنق الإسلام من خلال آية واحدة.

كذلك القرآن الكريم الكتاب يدعو إلى التأمل والتفكر والتدبر في خلق الإنسان قوله ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾[2]، فأول ما يدّبر به الجنين في الرحم، وهو محجوب في ظلمات ثلاثة: قوله تعالى ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖ﴾[3]، ظلمة البطن،

(١) سورة العلق: آية ١٥-١٦.
(٢) سورة الطارق: آية ٥.
(٣) سورة الزمر: آية ٦.

وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة، حيث لا حيلة عنده في طلب غذاء، ولا دفع أذى، ولا استجلاب منفعة، ولا دفع مضرّة، فإنّه يجري إليه من دم الحيض فلا يزال ذلك غذاءه حتى إذا كمُل خلقه واستحكم بدنه وقوي أديمه على مباشرة الهواء وبصره على ملاقاة الضياء، هاج الطلق بأُمّه فأزعجه أشدّ إزعاج وأعنفه حتى يولد، فإذا ولد صرف ذلك الدم الذي كان يُغذيه من دم أُمّه إلى ثدييها فانقلب الطعم واللون إلى ضرب آخر من الغذاء، وهو أشدّ موافقة للمولود من الدم فيوافيه في وقت حاجته إليه، فحين يولد حرّك شفتيه طلباً للرضاع لفترة ثم يحتاج إلى غذاء فيه صلابة ليشتدّ ويقوي بدنه، ظهرت له الطواحن من الأسنان والأضراس ليمضغ بها الطعام، فيلين عليه ويسهل له إساغته فلا يزال كذلك حتى يدرك.

تأمل حتى البكاء[1] عند الأطفال فيه منفعة وذلك لوجود رطوبة في أدمغة الأطفال إن بقيت فيها أحدثت عليهم أحداثاً جليلة وعللاً عظيمة من ذهاب البصر وغيره، فالبكاء يُسيل تلك الرطوبة من رؤوسهم فيعقبها ذلك الصحة في أبدانهم والسلامة في أبصارهم، وأمّا ما يسيل من أفواه الأطفال من الريق ففي ذلك خروج الرطوبة التي لو بقيت في أبدانهم لأحدثت عليهم أمور عظيمة كمن غلبت عليه الرطوبة فأخرجته إلى حدّ البله والجنون والتخبط وغيرها من الأمراض المتلفة كالفالج، فجعل الله تلك الرطوبة تسيل من أفواههم في صغرهم لما لهم في ذلك من الصحة في كبرهم، فسبحانه ما أجمل نعمته وأسبغها على المستحقين وغيرهم من خلقه، وتعالى عمّا يقول المبطلون علواً كبيراً.

---

(١) قال الرسول ﷺ: لا تضربوا أطفالهم على بكائهم، فإن بكائهم أربعة أشهر شهادة «أن لا إله إلا الله»، وأربعة أشهر الصلاة على النبي ﷺ، وأربعة أشهر الدعاء لوالديه».

تأمل في أعضاء البدن وفوائد كل منها:

تأمل حكمة التدبير في تركيب البدن، فإنه خُلق منتصباً قائماً ويستوي جالساً، ليستقبل الأشياء بيديه وجوارحه ويمكنه العلاج والعمل بهما، فلو كان منحنياً على وجهه كذاتِ الأربع لما استطاع أن يعمل شيئاً من الأعمال.

تأمّل إلى الحواس التي خُصّ بها الإنسان في خلقه وشُرّف بهما على غيره، كيف جُعلت العينان في الرأس ليتمكن من مطالعة الأشياء وجعل العين ذات الشكل اللوزي حتى إذا دخل الغبار والأوساخ داخل العين فبواسطة الدموع ستخرج من زوايا العين، انظر إلى الحاجب مكانه أعلي العين مقوس الشكل حتى لا يصل العرق النازل من الجبهة إلى العين الحساسة جداً، إضافة إلى أنه مضلل للعين وينظم بلونه الأسود نور الشمس للعين لترى بصورة أحسن.

تأمل وانظر إلى أهداب العين سبحان الله كيف جعلها متفرقة عن بعضها بفاصلة شعيرة واحدة حتى تلتحم الأهداف بصورة كاملة تسدّ جميع المنافذ حتى لا يدخل الغبار إلى العين.

تصوير هام في عدسة العين:

عندما قام زنديق يُجادل هشام بن الحكم: هل يستطيع الله (جل شأنه) أن يجعل الدنيا في بيضة دون أن تكبر البيضة أو تصغر الدنيا؟ وللإطلاع على الإجابة ذهب هشام إلى الإمام الصادق عليه السلام فقال الإمام عليه السلام: إنه قد فعل، انظر إلى العالم في الخارج، ماذا ترى؟!

قال هشام: أرى السماء والأرض، والجبال والصحراء والأشجار وغير ذلك.

فقال عليه السلام ما معناه: إن الرب الذي استطاع تصوير السماء والأرض وغيرهما في هذه العدسة الصغيرة الموجودة في عينيك له القدرة على كل عمل، ورغم أن بعض الأعمال يَبدو مستحيلة إلاّ أنها لا تعني أبداً أن الله سبحانه وتعالى لا يقدر، إن الله عز وجل لا يُوصفُ بالعجز، بل له قدرة لا يصعب أمامها المستحيل.

تأمّل إذا دققنا النظر إلى الفم نجده مُحاط بشفة علوية وشفة سفلية وكيف تنطبق على بعضها وتمنع تسرب الأطعمة التي يأكلها الإنسان إلى الخارج مما يدلّ على عظمة دقة الصنع، كما إنها وسيلة لخروج الحروف والكلمات من الفم، فكثير من الحروف تظهر بواسطة هذه الشفاه.

أمّا الأسنان فهي مختلفة في شلكها لاختلاف وظيفة كل منها، القواطع في المقدمة لقطع الطعام والأنياب لتمزيق الطعام أما الأسنان الخلفية لطحن الطعام، أما اللسان فهو عبارة عن قطعة لحم تنتشر عليها حلمات تحتوي على خلايا حسية لتذوق الطعام المالحة والحلوة والمرة والحامضة إضافة على ذلك فاللسان يساعد على النطق، فحاول أيها الإنسان أن تتكلم بدون تحريك اللسان هل تفهم شيئاً؟

تأمّل في الأنف وانظر إلى الفتحتان في الإتجاه السفلي حتى يُسهل نزول الأوساخ إلى الأسفل، وبداخل كل فتحة شعيرات مُحاطة بمادة لزجة حتى يتم ترطيب الأنف ومنع الأجسام الضارة من الدخول.

تأمّل الأذنان على جانبي الوجه تبدأ كل أذن بصيوان لجمع الموجات الصوتية إلى الأذن الوسطى (قناة سمعية) مزودة بطبقة شمعية حتى تمنع دخول الأجسام الغريبة إلى الأذن الداخلية وهي عظيمات صغيرة مهمة للسمع والتوازن للجسم، فسبحان الله الذي أحسن التقدير وأحكم

التدبـير وله الحمد كما هو أهلـه كيف خلق وجه الإنسان بصورة إبداعية دلـت على عظمة الخالق، لذلك يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**عجبت لابن آدم يسمع بعظم وينظر بشحم**».

تأمل وتفكّر في الأعضاء التي خلقت أفراداً وأزواجاً وما في ذلك من الحكمة والتقدير والصواب في التدبير، فالرأس ممّا خلق فرداً ولم يكن للإنسـان صلاح في أن يكون له أكثر من واحـد لأن الحواسّ التي تحتاج إليها مجتمعة في رأس واحد.

واليـدان مما خلق أزواجـاً ولم يكن للإنسان خير فـي أن يكون له يد واحدة لأن ذلك كان يُخِلُّ به فيما يحتاج إلى معالجته من الأشياء، ألا ترى أنّ النجـار والبنّا لو شلّت إحدي يديه لا يستطيـع أن يعالج صناعته، وإن تكلّـف ذلك لم يُحكمه، ولم يبلغ منه ما يبلغـه إذا كانت له يدان تتعاونان على العمل.

تأمّـل أيها الإنسان على ما أنعـم الله عليك من هذا النطق الذي تُعبّر به عمّـا في ضميرك وما يخطر بقلبك ولولا ذلـك لكنتُ بمنزلة البهائم المهملـة التي لا تخبر عن نفسها شيء، كذلك الكتابة التي بها تقيّد أخبار الماضـين للباقـين، وأخبار الباقين للآتـين، وبها تُخلّد الكتـب في العلوم والأداب وغيرها، ولولاها لانقطع أخبار بعض الأمنة عن بعض.

تأمّـل أيها الإنسان في العظام وما فـي وسطها، كيف جمع وربط بين ٢٤٨ عظماً؟

الإمـام الصادق عليه السلام يقول ما معناه: في اليد أربعة وثلاثون عظماً، وفي كل إصبع ثلاث قطع من العظام فكيف ربط بينها؟ كيف حفر وسط

كل عظم (للتدهين) وهذا الدهن هو نفس نخاع العظم لكي تتمكن العظام والمفاصل أن تستمر في العمل، ولو تُلف عظم في الخاصرة أو الرجل أو الصدر فإن جميع هيكل البدن يتوقف عن العمل.

العروق جداول في البدن: يضيف الإمام الصادق عليه السلام ما معناه: هناك ثلاثمائة وستون عرقاً أصلياً في البدن عدا العروق الفرعية الكثيرة جداً وكل عرق هو جدول لجريان الدم، ولو عطل واحد فإن الشخص يُصاب بالشلل، ولو كان العرق يرتبط بالمخ فإن الشخص يُصاب بسكتة أو بجلطة مخية.

فسبحان الله من أحسن التقدير وأحكم التدبير، فبعد هذا التأمل والتفكر في بعض أعضاء جسد الإنسان، فالواجب على كل مكلف أن يجتهد في معرفة ربه على قدر إمكانه وقدرته فإنها وسيلته الوحيدة في سعادة دنياه وآخرته.

فيجتهد في معرفة نفسه وحقيقته التي هي الطريق إلى معرفة ربه، فيسلك سبيل المؤمنين ويتبع شريعة سيد المرسلين ومذهب آله المعصومين، ويعمل بالكتاب والسنة، ويرتاض في تصفية نفسه بعمل المستحبات ويتجنب المكروهات ثم يتخلق بالأخلاق الكريمة وبعمل الأعمال الصالحة ويخالف هواه ويتبع أمر مولاه، فيصبح ناجحاً ويتيسر له معرفة نفسه، فيسهل له معرفة ربه، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**من عرف نفسه، فقد عرف ربه**»[1].

(١) المعرفة الحقيقة هي معرفة النفس التي هي كنه الشيء من ربه لأنه تعالى خلق الإنسان وأول كونه كانت له حقيقة من ربه وحقيقة من نفسه، فالتي من ربه هي النور المعبر عنه تارة بالماء وتارة بالوجود، وتارة بالنور كما قال عليه السلام: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» أي بنوره الذي خلق منه، أما كنهه من نفسه هي الظلمة وهي الصورة وهي المسماة بالماهية، جوامع الكلم: ج١، ص٢٠٣.

سُئل النبي ﷺ: «**من أعرف الناس بربه؟ قال أعرفهم بنفسه**»[1]، فكل من هو أشد في تصفية نفسه في أعراضه عن العلاقات الدنيوية فهو أحق وأقوى في معرفتها.

(ب) العالم الآفاقي (الكون الفسيح):

وهو الكون الفسيح لذلك عندما يتفكر الإنسان في هذا العالم اللامتناهي المليء بالمجرات والكواكب والشموس وحركاتها الدقيقة والتوازن بين المجرات والسيارات وحفظ المسافة بينها إذ أنه من الأسرار العجيبة وأعجب من ذلك كله قانون الجاذبية ودقة عمل التوازن والتعادل في حفظ النظام بينها.

إلى الآن العلماء عجزوا عن معرفة الكثير من عجائب هذا الكون الفسيح كلما تقدّموا في أبحاثهم، كلما تعرّفوا على عالم أرحب واكتشفوا كوكباً أشد ضياءاً تزداد حيرتهم ودهشتهم ويصابون بالدوار لمشاهدة العالم الأرحب والفضاء الأوسع قوله تعالى ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[2].

من المعجزات الإلهية (معجزة الماء بين التقدير والتدبير):

١- قوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ١٩ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ﴾[3].

من المعجزات الإلهية التي حيّرت عقول العلماء أن الماء المالح في البحر يوجد فيه بعض الأحيان ينبوع للماء الحلو الزلال، ومع ذلك يظل الماء المالح بمعزل عن الماء الحلو بدون أن يختلط به، مما يسمح للبحارة

(١) الكلمات المحكمات: ص٨٧، جوامع الكلم: ج١، ص٢٠٠.
(٢) سورة الذاريات: آية ٤٧.
(٣) سورة الرحمن: آية ١٩.

بأن يتـزودوا من الماء الحلو فـي الأمكنة المحددة التـي يعرفونها، هذان المـاءان لا يختلطان مع بعضهما وكأنه بينهما غشـاء شفافاً يمنعهما من الامتزاج رغم تجاورهما، وهو ما عبّر عنه القرآن بالبرزخ حيث قال عنه ﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ١٩ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ﴾.

وفـي هذا الصـدد لا بأس أن نذكر هذه القضيـة: أنه كان أحد علماء الطبيعـة يدعى (ميشيـل كوستو) وهو عـالم فرنسي كانـت دراسته في البحـار لاحـظ هـذه الظاهرة وهـو عدم امتـزاج الميـاه المالحـة بالمياه الحلـوة، وكأن بينهما غشاء ولكنه لم يعرف تعليلاً لذلك وبالصدفة سمع عـن طريق الإذاعة أحـد مقرئ القرآن وهو يتلو هـذه الآية ﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ١٩ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ﴾ فانجـذب لهذه الآية وسـأل عن معناها فقالوا: إذا التقى بحر الماء المالح مع بحر الماء العذب فإنهما لا يختلطان ببعضهمـا، وكأن بينهما برزخ أي حاجز يمنعهما من الامتزاج، عند ذلك سجد العالم كوستو لله تعـالى وأعلن إسلامه وإيمانه بالقرآن وأنه مُنزل من عند الله تعالى.

هـذه الظاهرة تحدث أيضاً عند مصبات الأنهار في البحار، فإن ماء النهـر الذي يتوغل في البحر عدة كيلومترات يظل محافظاً على عذوبته رغم التقائه بماء البحر على الرغم من حركة ماء البحر وموجاته، وهذه الخاصيـة تسمـح لأسماك الأنهار بمغادرة النهـر إلى البحر والعيش فيه دون أن تلتقي بالماء المالح الذي يؤذيها لعدم تعودها عليه.

فسبحان من قدّر الأشياء ورسمها، ودبّر الوسائل وسخّرها، فهو رب العالمين وخالقهم، خلق كل شيء ولم يتركه هملاً بل يتولاه ويربيه في كل آنٍ وحين.

٢- قولـه تعـالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[1]: من أروع الأمثلة على هذا التقديـر وهذا التدبـير (مركب الماء) الذي يتألف مـن اتحاد عنصرين غـاز الأكسجين وغاز الهيدروجـين بسنة ١:٢، وقد وجـد أن هذا المركب انفـرد عن جميع المركبات الكيميائية بخصائص تجعله في كل صفة من الصفات متميزاً على جميع المركبات.

أولاً: نجـد هـذا المركب (المـاء) يوجد فـي ثلاث حـالات (الصلبة، والسائلة، والغازية) ولا نجدها في أي مركب آخر.

كمـا إن الحـرارة النوعيـة للمـاء مرتفعة جـداً وهي تسـاوي الواحد (حريـرة) وهـي درجة فائقة مـن الأهمية وفي منتهـى التقدير المعجز، فالمـاء كما هو معلوم يغطي حوالي ثلاثة أربـاع سطح الكرة الأرضية فهو يقـوم بدور تلطيف حرارة الجـو المحيط بالأرض لصيانـة حياة الإنسان والكائنات الحية المختلفة، فلو لم يكن للماء هذه الحرارة النوعية العالية لـكان أقل ازدياد للحرارة علـى سطح الأرض يميت جميع الأحياء كما أن أقـل انخفاض في الحرارة يمكـن أن يجمد المخلوقات جميعاً، فيأتي دور المـاء الهام في حرارته النوعية العاليـة ليمتص كل غرام منه (حريرة) كاملـة كلما ارتفعت درجة حرارته درجـة واحدة، فهو يبتلع كميات كبيرة مـن الحـرارة لترتفع درجة حرارته مقداراً صغـيراً، كما أنه عند حدوث الـبرودة فإنـه يعطي كميات كبـيرة من الحـرارة دون أن تنخفض درجة حرارته كثيراً.

من ذلك نستنتج أن الماء يعدّ من أعظم المنظمات للحرارة على سطح

(١) سورة القمر: آية ٤٩.

الأرض لا سيما بين الليل والنهار وصدق سبحانه وتعالى حيث يقول: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾[1].

كذلك الكثافة العظمى للماء: حيث نعلم أن الأجسام الصلبة تغوص في الماء بسبب الكثافة ولكن التقدير فائق في الإبداع جعل الله سبحانه وتعالى الجليد أخف من الماء (أي كثافة أقل) فهو عندما يتجمد عوضاً عن أن تزيد كثافته فإنها تنقص، فعندما تصل حرارة الماء في البلاد الباردة في الشتاء إلى +٤ ثم تنخفض، فإن الماء الذي درجته +٤ يهبط إلى أسفل المحيطات لأنه كثافته عظمى، ونجد فوق الماء الذي درجته أقل إلى أن تصل إلى السطح حيث نجد الجليد المتكون طافياً وهذا (الجليد) يشكل طبقة عازلة تعزل الماء العميق عن برودة الجو وبهذا يضمن حياة الكائنات البحرية فسبحان القادر المقدر الخالق البارئ المصور.

بعد أن عرفنا بعض الخصائص المدهشة لهذا السائل السحري (الماء) نجد أنفسنا في دهشة أكبر حين نتذكر أن من هذا السائل خلق الله سبحانه كل أنواع المخلوقات مصداقاً لقوله تعالى ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۖ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ﴾[2]، فالماء يدخل في تركيب بعض النباتات بنسبة ٩٩٪، بينما في الحيوان والإنسان فنسبته تزيد عن ٧٥٪، فالماء تدخل في تركيب جميع خلايا الجسم فإذا نقصت كمية الماء في الجسم لم تعد هذه الخلايا قادرة على القيام بوظائفها الخاصة، لذا نرى أن الإنسان يستطيع أن يعيش بدون طعام شهراً كاملاً أو أكثر ولكن لا يستطيع أن يعيش بدون ماء أكثر من عدة أيام، فكل خلية في الجسم بنيت وصممت بحيث يكون الماء هو وسيط استمرار الحياة فيها.

(١) سورة الذاريات: آية ٢١.
(٢) سورة الأنبياء: آية ٣٠.

هنـاك الكثير الكثير عن معاجـز الماء وخصائصه ولكـن العجيب أن قوة ثبات مركب الماء الذي يتألف من عنصرين الهيدروجين والأوكسجين يتحـدان بشكل قوي جـداً مما يجعل مركب الماء مـن الصعب تفكيكه إلاّ فـي الدرجات الحـرارة العالية أو بطريـق التحليل الكهربائـي بواسطة جهـاز (ڤولنا ميتر هوفمان) يمكـن بواسطته تحليل الماء إلى هيدروجين وأوكسجين بسهولة وكان هذا بعد اكتشاف الكهرباء.

هناك نكتة لطيفة ترتبط بهذا الموضوع وهو أن الإمام أمير المؤمنين علي بـن أبي طالب عليه السلام كان مرة من المرات بعـد فراغه من إحدى الغزوات ماراً مع أصحابه أمام نهر الفرات وبيده قضيب، فجعل ينثر به ماء النهر ويقول: لو شئت لجعلت لكم من الماء نوراً وناراً، فتعجب القوم من قوله ولم يفهمـوا مقصـوده حتى جاء العصر الحديث ليُبين لنـا أن الماء يتألف من عنصريـن أساسيين هما من أهم العوامل المساعدة على الاحتراق وتوليد الطاقة الحرارية. سبحان الله كل شيء مقدّر تقديراً عجيباً.

والإمـام الصـادق عليه السلام يقول فـي مضمون حديثـه: «**أتعتقـدون إن عالمكـم هـذا هو العالم الوحيد في هـذه الدنيا، إن وراء عالمكم هذا ألف عالم وألف آدم**» [1].

تطابق الآفاق والأنفس:

مـن جانب آخر أمير المؤمنين عليه السلام يأمرنـا بالتفكر والتدبر في هذا العالم الأكبر لأنه طبق العالم الصغير الذي هو وجوده كما قال عليه السلام:

---

(١) وعن النبي صلى الله عليه وآله: أن لله سبعين ألف حجاب (أي عالم) وفي رواية سبعمائة وفى أخرى سبعين، شرح الزيارة الجامعة: ج٤، ص٢٠٠.
وقال الإمام المجتبى عليه السلام: أن لله سبعين ألف عالم وبكل عالم سبعين ألف آدم وأنا الحجة عليهم، وفي رواية (ألف ألف عالم).

أتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر
وأنت الكتاب المبين الذي بأحرفه يظهر المضمر

كل ما هو موجود في العالم الخارجي موجود في النفس الإنسانية، ففي وجود الإنسان ذاته يتمثّل النهار والليل وهذا يظهر في جهاز الدورة الدموية في الجسد، ففي القلب تجري تصفية الدم الذي يجري نظيفاً صافياً في الشرايين كالنهار منتشراً في أجزاء الجسم كافة ثم يعود دم أسود من كل جزء وصل إليه حاملاً معه المخلفات -كالليل- إلى القلب ثانية عن طريق الأوردة حيث تجري تصفيته من جديد.

وروحك أيضاً فيها نهار وليل، فليلُها الغفلة عن الله فهي مُظلمة، ونهارها ذكر الله، فذلك القدر من عمرك الذي قضيته بذكر الله يكون منيراً.

وتوجد أنواع مختلفة على الأرض من المياه العذبة - المالحة - المرة والعكره، هذه المياه موجوده في الإنسان الماء العذب موجود في اللعاب الموجود على اللسان، والماء المالح يتمثل في الدموع حتى تحافظ على عدسة العين والماء العكر الذي ينزل من أنف الإنسان وماء المرة هو السائل الموجود في الأذن حتى تمنع دخول الحشرات كذلك الأشجار الموجودة في الطبيعة هي إشارة إلى الشعر الذي ينبت عند الإنسان، والأنهار إشارة إ لى العروق حتى العرش في العالم القلب في الإنسان والكرسي في الكون هي بمثابة الصدر.

بعد مطابقة العالم الصغير مع العالم الأكبر يصل الإنسان إلى نتيجة إنّ الذي خلقني وخلق هذا الكون هو إله واحد لا شريك له لأن إبداعه واحد وقدرته واحدة ولتشابه مخلوقاته في الدقة والإحكام والإتقان

والأبداع قوله تعالى ﴿فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ﴾[1] وقوله ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾[2] نظام دقيق في جميع أجزائه.

نعم، المطالعة بالكتاب الأنفسي تحل مشكلات الآفاقي، وتظهر ضمائره وتكشف أسراره فيدرس معارفه ويطلع على نواميسه ويقرب من مرتبة سلمان الفارسي الذي قال في حقه سيد الكائنات ﷺ «**لو كان العلم منوطاً بالثريا لتناوله رجال من فارس**»، كذلك الحديث المشهور: «**سلمان منّا أهل البيت**»، لقد وصل سلمان الدرجة العاشرة ليس بكثرة صلاته وصيامه وإنما بكثر التدبر كما ورد عنهم (عليهم السلام): «**إن تدبر ساعة خير من عبادة سبعين سنة**».

إذن من خلال معرفة الإنسان للعالم الأصغر (الأنفسي) والعالم الأكبر (الآفاقي) يستطيع معرفة الله تبارك وتعالى ولو بصورة إجمالية.

ومعرفة الله عز وجل على قدر معرفة آياته وصفاته قوله تعالى ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ٢٠ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ﴾[3]، معرفة هذا الأعرابي الجاهل بالله عز وجل لطول عنقها وقوة قوائمها وتحملها مشاق الأحمال والأسفار وصبرها على الجوع والعطش هذه المعرفة هي المطلوبة من ذلك الأعرابي، وهي غير معرفة ذلك الفلكي الذي ينظر إلى عجائب المحيط الكبير ويشاهد أعماق السماء من وراء

(١) سورة الملك: آية ٣.
(٢) سورة يس: آية ٤٠.
(٣) سورة الغاشية: آية ١٧-٢١.

المكبرات (تلسكوبات) ويطالع جمال الأفلاك ونظام الثوابت والسيارات، وحركة الكواكب والأقمار وتأثير نواميسها (أسرارها) في الحياة، وقوة جاذبيتها، فلا بد لنا الاعتراف بأن معرفة هذا في وجود الصانع وعظمته أفضل وأدق وأعلى من توحيد هذا الإعرابي، لذلك فإن الإنسان كلما ارتقى في العلم والمعرفة والاطلاع كلما كانت معرفته بالله أقوى وأعظم لذلك أكثر الناس معرفة بالله خلال الآثار هم محمد وآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين.

سبحان من خلق هذا الكون بتوازن يذهل العقول:

في عام ١٩٥٨م أمر الزعيم الصيني شعبه بقتل جميع أنواع (طيور الدوري) لأنها تأكل المحاصيل وتقلل من الإنتاج الزراعي، وبالفعل بدأ الفلاحين يقتلون عشرات الآلاف من طيور الدوري، وكان كل من يقتل أكبر عدد يتلقى جوائز ومكافآت ويعامل معاملة الأبطال الوطنيين، لكن انتشر لاحقاً الجراد الذي كانت تأكله طيور الدوري بشكل مأساوي في جميع أنحاء البلاد، قاضياً على المحاصيل، فكان ذلك أحد الأسباب الرئيسية لمجاعة الصين الكبرى عام ١٩٦٠، والتي تسببت بوفاة خمسة عشر مليون إنسان بالجوع، فالأرزاق قسّمها الله بحكمة وتكفي للجميع، فسبحان من خلق هذا الكون بتوازن يذهل العقول.

الدرس الثالث

ثانياً: معرفة الكتاب التدويني (القرآن الكريم):

أهداف الدرس :

١- معرفة الكتاب التدويني (القرآن الكريم)

٢- معجزات القرآن الكريم

ما من صنعة أو اختراع يكون سرّها بيد الصانع أو المخترع إلاّ وينكشف سرّها من قِبل الآخرين، فيصنعون مثل ذلك من الآلات والمكائن الكهربائية والإلكترونية المختلفة بل يضيفون أنواعاً جديدة إلى اختراعاتهم إلاّ القرآن الكريم (الكتاب التدويني) الذي نسخ التوراة والإنجيل وجميع الكتب السماوية، ولم يوجد حتى الآن ما ينسخه، ولن يجيء ما ينسخه أبداً.

لقد أودع خالق القرآن وربّه سرّاً خفياً بحيث يمتنع على الناس الإحاطة به، لقد حيّر جميع العلماء والعرفاء وفطاحل الفصاحة والبلاغة هذا السرّ وهو (روح القرآن) الذي نزل من عالم الأمر.

حتى الإتيان بسورة أو آية واحدة مثل القرآن لا يستطيعون الإتيان بمثله إنما هو فوق قدرة الإنسان وجميع ما سوى الله ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[1]، كأنّ تقول الآية لهم: القرآن الذي تسمعونه بلغة عربية وبيان رفيع وأنتم تتقنون اللغة العربية والبيان والبلاغة فأتوا بكلام مثل هذا القرآن في بيانه وفصاحته وبلاغته، فالقرآن هو الكتاب الكامل كل ما فيه غاية في الدقة والإتقان، وهو أسمى وأعلى من مستوى عباد الله، وكلما ظهرت اكتشافات جديدة اتضحت معاجز القرآن الكريم.

(١) سورة الإسراء: آية ٨٨.

وكلمـا اتسعت العلوم والمعـارف اتضحت حكمة هـذا الكتاب، وعظمة الإعجاز فيه أكثر.

معجـزات القرآن الكريم لا تعدّ ولا تحصى، فالقرآن الكريم كله من أول حرف فيه إلى آخر حرف معجزة، وسنذكر بعض هذه المعجزات التي وردت فـي القرآن الكريم وقـد حيرت الكثير من العلمـاء والمفكرين في أنحاء العالم.

لماذا الكلب باسط ذراعيه في سورة الكهف و لم يتقلب؟

أحد العلماء في الطب الألمان يقول: كنت مسافراً يوماً و صادفني في المطار شاب قدّم لي نسخة مترجمة من القرآن الكريم، شكرته و وضعتُ النسخة في جيبي، و عندما ركب الطائرة و بسبب طول الرحلة و الملل قال: أخرجتُ نسخة القرآن من جيبي، ثم فتحتها و قلّبت الصفحات فوقعت عيني على سورة الكهف، فقرأتُ ثم استوقفتني آيتين و هما قوله سبحانه(۞ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ)[1] والآية (وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ)[2]، يقول الطبيب: إن تقلّبهم و هم نائمون مفهوم من أجل أن لا تتقرّح أجسامهم إذا بقوا نائمين على وضعية واحدة، لكن ما فاجأ الطبيب قوله في الآية السابقة عليها (وترى الشمس إذا طلعت تزاور..) بمعنى أن الشمس تدخل في الكهف كل يوم، لكنها لا تأتي على أجسامهم مباشرة، و يقول بأن هذا معروف في علم الطب، فحتى لا تحصل تقرحات السريريجب أن تكون الغرفة مهواة و تدخلها الشمس دون أن تكون مباشرة على الجسم، ثم عاد الطبيب للتفكّر في الآية التالية حيث يقول بأنه فعلاً حتى لا تحصل التقرحات يجب أن يقلب الراقد حتى لا يتقرّح الجسم و يتعفن و تأكله الأرض، لكن الذي أدهش الطبيب إن كلبهم لم يكن يقلب مثلهم، و إنما باسط ذراعيه بالوصيد على وضعية واحدة طوال ٣٠٩ سنوات والله أعلم بهم مدة مكوثهم و لم يتقرح جسمه و لم يتعفن، هذا الأمر دفع الطبيب الألماني إلى دراسة فسيولوجية الكلاب و ما أدهشه إنه وجد أن الكلاب تنفرد بوجود غدد تحت جلدها تفرز مادة تمنع تقرح الجلد ما دام في جسد الكلب حياة، و لو لم يتقلب و لذلك لم يكن كلبهم يقلب مثلهم في الكهف ، هذا الطبيب أعلن إسلامه بسبب هذا الأمر الإعجازي

(١) سورة الكهف آية ١٧
(٢) سورة الكهف آية ١٨

١- قوله تعالى ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾[١]، ألقيت هذه الآية في المؤتمر العلمي للإعجاز القرآني الذي عقد في القاهرة لما سمع البرفيسور الياباني (يوشيدي كوزاي) تلك الآية نهض مندهشاً وقال لم يصل العلم والعلماء إلى هذه الحقيقة المذهلة إلاّ منذ عهد قريب بعد أن التقطت كاميرات الأقمار الاصطناعية القوية صوراً وأفلاماً حية تظهر نجماً وهو يتكون من كتلة كبيرة من الدخان الكثيف القاتم ثم أردف قائلاً: إن معلوماتنا السابقة قبل هذه الأفلام والصور الحية كانت مبنية على نظريات خاطئة مفادها أن السماء كانت ضباباً.

وقال بهذا نكون قد أضفنا إلى معجزات القرآن معجزة جديدة مذهلة أكدت أن الذي أخبر عنها هو الله الذي خلق الكون قبل مليارات السنين.

٢- قوله تعالى ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْدٍ[٢] وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[٣]، وقد أثبت العلم الحديث أن السماء تزداد سعة باستمرار فمن أخبر محمداً ﷺ بهذه الحقيقة في تلك العصور المتخلفة؟ هل كان يملك تليسكوبات وأقماراً اصطناعية؟ أم أنه وحي من عند الله خالق هذا الكون العظيم؟ أليس هذا دليلاً قاطعاً على أن هذا القرآن حق من الله؟

٣- قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[٤]، وقد أثبت العلم الحديث أن أي كائن حي يتكون من نسبة عالية من الماء وإذا فقد ٢٥٪ من مائة فإنه سيقضي نحبه لا محالة لأن جميع التفاعلات الكيماوية داخل خلايا أي كائن حي لا تتم إلا في وسط مائي، فمن أين لمحمد ﷺ بهذه المعلومات الطبية؟ هذا يدلّ على أن القرآن الكريم حق من الله.

(١) سورة فصلت: آية ١١.
(٢) بأييد: معناه القدرة والقوة أي قدرة الله المطلقة العظيمة في خلق السماوات.
(٣) سورة الذاريات: آية ٤٧.
(٤) سورة الأنبياء: آية ٣٠.

٤- قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾[٢].

كلنا نعلم أن الجبال ثابتات في مكانها، ولكننا لو ارتفعنا عن الأرض بعيداً عن جاذبيتها وغلافها الجوي فإننا سنرى الأرض تدور بسرعة هائلة (١٠٠ ميل في الساعة) وعندها سنرى الجبال وكأنها تسير سير السحاب أي أن حركتها ليست ذاتية بل مرتبطة بحركة الأرض تماماً كالسحاب الذي لا يتحرك بنفسه بل تدفعه الرياح، وهذا دليل على حركة الأرض، فمن أخبر محمداً ﷺ؟ أليس الله عز وجل؟

٥- قوله تعالى ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾[٣]، وهذا ما أثبته العلم الحديث إذ أن من فوائد الرياح أنها تحمل حبات الطلع لتلقيح الأزهار التي ستصبح فيما بعد ثماراً، فمن أخبر محمداً ﷺ بأن الرياح تقوم بتلقيح الأزهار؟ أليس هذا من الأدلة التي تؤكد أن هذا القرآن كلام الله؟ فسبحان الله الذي أحسن التقدير وأحكم التدبير وله الحمد كما هو أهله.

ولا يزال هذا الكتاب التدويني (القرآن الكريم) كالكتاب التكويني (الآفاقي) غير مكشوف، ومستتراً عن أفهام الباحثين فلم يكشف إلاّ عن جزء ضئيل من حقائقه، قوله تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾[٣].

---

(١) سورة النمل: آية ٨٨.
(٢) سورة الحجر: آية ٢٢.
(٣) سورة آل عمران: آية ٧.

ثالثاً: معرفة الكتاب الناطق (أهل البيت عليهم السلام):

أهداف الدرس:

١- أهل البيت (ع) هم الطريق الأفضل و الأهم لمعرفة الله سبحانه و تعالى

٢- على كل مكلّف أن يعرف إمام زمانه

وهو الطريق الأفضل والأهم في معرفة الله سبحانه وتعالى، لأن معرفتنا لله عز وجل لا تكون إلاّ عن طريق النور المقدس وهم الصفوة المقدسة التي خلقها الله من نور عظمته وجلاله وأودع فيها جميع الصفات الإلهية الجمالية والجلالية التي يتصف بها كما هو في الحديث القدسي: «**كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف**» وفي دعاء الصباح لأمير المؤمنين عليه السلام «**يا من دلّ على ذاته بذاته وتنزه عن مجانسة مخلوقاته**».

فأوجب سبحانه علينا معرفة مظاهر مشيئته، وألسن إرادته وسفرائه في خليقته وطاعتهم إذ سبقونا إلى إجابة دعوته عند تكليفنا إلى معرفته وطاعته وفاقونا في إخلاص حبّه وعبادته واستحقوا منه تعالى ذلك لذلك امتحاناً منه سبحانه لرعيّته، وإتماماً لحجته، لأنه جعل ذلك شرط معرفته وطاعته، فقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[1].

(١) سورة النساء: آية ٨٠.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾[1]، وفي الحديث القدسي: «**من أحبّك فقد أحبني، ومن أبغضك فقد أبغضني ومن أطاعتك فقد أطاعني، ومن عصاك فقد عصاني**»[2].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله: «**... من عرفنا فقد عرف الله ومن جهلنا فقد جهل الله ومن ردّ علينا فقد ردّ على الله ومن اتبعنا فقد أطاع الله، ومن تولى عنّا فقد تولى عن الله ومن شك فينا فقد شك في الله**»[3].

وفي الزيارة الجامعة القصيرة عندما نزور أهل العصمة نقول: «**السلام على الأدلاء على الله، السلام على الذين من والاهم فقد والى الله، ومن عاداهم فقد عادى الله، ومن عرفهم فقد عرف الله، ومن جهلهم فقد جهل الله**».

أول هذه الصفوة المقدسة هو محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله رسوله وحجته على خلقه وهو أول نور خلقه الله سبحانه من نور عظمته «**أول من خلق الله نور نبيّك يا جابر**» ومن هذا النور اشتق نور علي بن أبي طالب عليه السلام، فأودع الله تعالى في النور الأول النبوة لمحمد صلى الله عليه وآله والنور الثاني الولاية لعلي بن أبي طالب عليه السلام كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**أنا من محمد كالضوء من الضوء**»[4].

وعندما سئل النبي صلى الله عليه وآله بأي شيء سبقت الأنبياء وأنت بُعثت آخرهم

---

(١) سورة الفتح: آية ١٠.
(٢) الكافي: ج١، ص٤٤٠-٤٤١.
(٣) الآمالي: ص ٧٥٥.
(٤) مخازن جواهر أسرار التنزيل: ص١٤٥.

وخاتمهم؟ قال ﷺ: إني كنت أول من آمن بربي وأول من أجاب بـ «بلى» عندما أخذ الله منّا الميثاق في عالم الذر.

وما عرف الرسول ﷺ حق المعرفة إلا الله سبحانه وعلي عليه السلام قوله ﷺ: «**يا علي ما عرفني حق المعرفة إلاّ الله وأنت يا علي**»[1].

طالما مقام الرسول ﷺ هو مقام الإجمال[2] فمعرفة الله سبحانه لا تأتي إلا عن طريق معرفة الإمام لأنه في مقام التفصيل.

وكل زمان من بعد وفاة النبي ﷺ حجة، وحجج الله بعد الرسول ﷺ اثني عشر إمام أولهم علي بن أبي طالب عليه السلام وآخرهم الحجة بن الحسن عليه السلام.

ولم يعرف أمير المؤمنين عليه السلام إلاّ الله العليم ورسوله الكريم ﷺ كما قال ﷺ: «**يا علي ما عرفك إلاّ الله وأنا**»[3]، وقال عليه السلام بنفسه «**ظاهري إمامة وباطني غيب منيع لا يُدرك**»، وهذا إن دلّ، دلّ على مقامه الشامخ.

إن عظمة أمير المؤمنين عليه السلام أسمى من أن ينالها الفكر الإنساني، أو يسهل على البشر أن يتعرفوا على حقيقته، ويحيطوا بأغواره، فكل ما يقال عن الآية الكبرى، والنبأ العظيم، فإنما هو قطرة من المحيطات وذرة في مقابل الشمس لذلك يقول عليه السلام: «**نزهونا عن الربوبية، وقولوا ما شئتم، ولن تصلوا**» فهم ليسوا آلهة وليسوا شركاء لله تعالى، وليسوا وكلاء عن الله، ولم يفوّض أمر الإيجاد إليهم إلاّ بمشيئته، يصلهم

(١) حياة النفس وأصول الدين: ص٨٢.
(٢) كذلك مقام القرآن الكريم هو مقام الإجمال والسنة النبوية هي في مقام التفصيل.
(٣) شرح الزيارة: ج١، ص١٠٤.

الفيض والمدد الإلهي من المبدأ المتعال باستمرار، وهم يحتاجون الخالق دائماً، كما يقولون (لو لم نزدد لنفذ ما عندنا).

ويستمدون علمهم من الله عز وجل لذلك نجد أمير المؤمنين عليه السلام دائماً يقول: «**سلوني قبل أن تفقدوني**» فكلامه يدلّ على إحاطته بنواميس العالم الأكبر، وتعمّقه في عالم التكوين والنشأة.

إذن فكل ما في الكتاب آفاقي الأنفسي التكويني والتدويني مدوّن في صدر هذا الكتاب الأنفسي الذي هو وعاء للعلم والإحاطة.

فمعرفة الله عز وجل تأتي عن طريق معرفة الإمام عليه السلام كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: في حديث النورانية عند ما سأله سلمان المحمدي وأبا ذر الغفاري: كيف نعرفك حق المعرفة؟ قال عليه السلام: من عرفني بالنورانية عرف الله عز وجل ومن عرف الله عز وجل عرفني بالنورانية.

على كل مُكلف أن يعرف إمام زمانه بأنه:

١- معصوم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[١].

٢- إنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله، قوله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[٢].

٣- مفترض الطاعة قوله ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[٣].

---

(١) سورة الأحزاب: آية ٣٣.
(٢) سورة المائدة: آية ٦٧.
(٣) سورة النساء: آية ٥٩.

لذلك قال أبو جعفر محمد الباقر عليه السلام: «**إنما يعبد الله من عرف الله، وأما من لا يعرف الله كأنما يعبد غيره**».

وعندما سأله السائل: أصلحك الله ما معرفة الله؟

قال عليه السلام: «**يصدق الله ويصدق محمد رسول الله في موالاة علي عليه السلام والائتمام به وبأئمة الهدى من بعده والبراءة من عدوهم**».

قال: أصلحك الله أي شيء إذا عملته أنا استكملت حقيقة الإيمان؟

قال عليه السلام: «**توالي أولياء الله وتعادي أعداء الله وتكون مع الصادقين كما أمرك الله**».

قال: من أولياء الله ومن أعداء الله؟

قال عليه السلام: «**أولياء الله محمد رسول الله وعلي والحسن والحسين ثم انتهى الأمر إلى قائمهم، فمن والى هؤلاء فقد والى أولياء الله وكان مع الصادقين كما أمره الله**».

قال: ومن أعداء الله أصلحك الله؟

قال عليه السلام: الأوثان الأربعة «**الجبت والطاغوت واللات والعزى**».

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**اللهم من آمن بي وصدقني فليتول علي بن أبي طالب فإن ولايته ولايتي، وولايتي ولاية الله تعالى**»[1].

فالواجب علينا أن نعرف إمام زماننا لأن الإمام مع باقي الأئمة وجدهم رسول الله صلى الله عليه وآله هم آيات الله وبمعرفتهم نعرف الله سبحانه كما

(١) وفي حديث قدسي قال الله تعالى: «**إني لأدخل الجنة من أطاع علياً عليه السلام وإن عصاني وأدخل النار من عصى علياً وإن أطاعني**»، جواهر الحكم للسيد الأمجد، ج٢، ص١٢٩.

قـال أمير المؤمنين عليه السلام: «**بنا عُـرف الله وبنا عُبد الله ولولانا ما عُرف الله ولولانا ما عُبد الله**».

وقـال عليه السلام: «**نحـن الأعـراف الذيـن لا يُعـرف الله إلاّ بسبيـل معرفتنا**»[1].

وفـي الزيـارة الجامعة القصيرة: «**ومن عرفهم فقد عرف الله، ومن جهلهم فقد جهل الله**».

وقد روت العامة والخاصة قول النبي صلى الله عليه وآله:

«**من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية**»، جاهلية أي كفر ونفاق وضلال[2].

إذن إذا عرفنا آل محمد (عليهم السلام) عرفنا الله وعرفنا العبادة ووصلنا إلى الغاية الكبري وهي الجنة.

يأتـي رجـل إلى الإمام الصـادق عليه السلام ويقول له: ادعـو لي أن أدخل الجنة.

قال الإمام عليه السلام كيف أدعو لك وأنت في الجنة؟

قال الرجل: كيف يابن رسول الله؟

قـال عليه السلام: الجنة هي ولايتنـا أهل البيت، بل ادعو الله عز وجل أن لا يخرجك منها.

---

(١) شرح الزيارة الكبيرة: ج٤، ص٨٠، ج١ ص٥.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: أبي جعفر محمد بن بابويه القمي: ص٢٨٨.

الدرس الخامس

أهل البيت (ع) هم العلل الأربعة في خلق الخلق وليس الذات البات

أهداف الدرس:

١- أهل البيت (ع) هم العلل في خلق الخلق

٢- ما المقصود من

أ- العلة الفاعلية

ب- العلة المادية

ج- العلة الصورية

د- العلة الغائية

خلق الله سبحانه الأئمة عليهم السلام أول الخلق وحدهم ليس معهم خلق يعبدونه ويسبّحونه ويحمدونه ويهلّلونه ويكبّرونه ويعظّمون جلاله وعظمته (٨٠) ألف دهر ثم خلق لهم الخلق من أشعة أنوارهم.

فكانوا هم العلل الأربعة في خلق الخلق الفاعلية والمادية والصورية والغائية فهم:

١- العلة الفاعلية:

الذي ينبغي أن يعتقد في حق الأربعة عشر المعصومين عليهم السلام هو أنهم عليهم السلام عباد مخلوقون مرزوقون، فقراء إلى الله خالقهم عز وجل في جميع مآلهم لم يستغنوا عنه سبحانه في شيء من ذواتهم وصفاتهم وحركاتهم وسكناتهم وأحوالهم وأفعالهم وأقوالهم وسرّهم وعلانيتهم طرفة عين أبداً هذا حال عبوديتهم وأما ما أفاض الله تعالى عليهم من شأن ربوبيته فهو أنه تعالى خلق أنوارهم قبل الخلق ثمانين ألف دهراً وخلق ما عداهم من أشعة أنوارهم، فجعلهم الوسائط بينه سبحانه وبين خلقه وإن كان تعالى قادراً على الإيجاد بدون توسط الأسباب إلاّ أنه عز وجل جرت عادته أن يجري الأشياء على ترتب أسبابها ليعرف العباد الدليل على معرفة ما يريد منهم.

وليس القصد هنا العلة الفاعلية أنهم هم الخالقون تعالى الله عن أن يشاركه في خلقه علواً كبيراً قوله تعالى ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾[1]، فإطلاق العلة الفاعلية عليهم السلام مجازاً، لا إنهم فاعلون للأشياء حقيقة، بل الله هو الخالق والرازق والفاعل لما يشاء وحده عز وجل إلاّ أنه سبحانه لا يفعل شيئاً بذاته لتنزهه وتكرمه عن المباشرة، فجعل آل محمد (صلوات الله عليهم) السبب الأعظم لوجود هذا العالم كما جعل الملائكة المدبرات الجزئية كعزرائيل جعله الله سبباً للوفاة، والله سبحانه هو المتوفي والمميت، وجعل ميكائيل سبباً لأرزاق العباد والله سبحانه هو الرزاق ذو القوة المتين، وجعل الملكين الخلاقين في رحم المرأة سبباً لخلق الولد والله سبحانه هو الخالق وحده قوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[2].

ومع ذلك قد نسب سبحانه الفعل إلى الأسباب أيضاً مجازاً قوله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ﴾[3].

٢- العلة المادية:

لأن جميع الخلق من الأنبياء إلى الجمادات خُلقوا من شعاع أنوارهم سلام الله عليهم، على هذا الترتيب، يعني خلق الله سبحانه من شعاع نور محمد وآله الأنبياء ومن شعاع نور الأنبياء مؤمني الإنس ومن شعاع نورهم مؤمني الجن ومن شعاع نورهم الملائكة، ومن شعاع نورهم مؤمني

(١) سورة لقمان: آية ١١.
(٢) سورة الروم: آية ٤٠.
(٣) سورة السجدة: آية ١١.

الحيوانـات ومن شعاع نورهـا مؤمني النباتات ومن شعـاع نورها مؤمني الجمـادات هذا في المؤمنـين، أما كفار الطبقات غـير الأنبياء والملائكة خلقت مـادة كفار كل طبقة منها عكس شعاع مؤمني تلك الطبقة ويسمى الشيخ الأوحد (ق.س) هذا الترتيب (بالسلسلة الطولية)، ويعرفها بأنها هي: التي يكون شعاع العالي مادة السافل.

وأمـا الكافر مـن كل مرتبة من الإنسان إلى الجمـادات خُلق من عكس وظـل تلك المرتبة كالسراج له نور وظلمة، خلق من النور (الشعاع) المؤمن، ومن الظل الكافر، أما مرتبة المعصومين عليهم السلام لما كانت نوراً صرفاً لم يكـن معه ظل ولا ظلمة بوجه قولـه: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ لم يكن في المرتبة السافلة منهم كفار بل كان كلها أنبياء ورسل.

إذن المراد مـن كونهم علة مادية لأن جميع الموجودات خلقهم الله من شعـاع أنوارهـم عليهم السلام، قـول الإمام بقية الله (عـج) «**اللهم إن شيعتنا منّا، خلقوا من فاضل طينتنا وعجنوا بماء ولايتنا**».

٣- العلة الصورية:

لجميـع المخلوقات مـن الأنبيـاء إلى الجمادات من مؤمنـي الطبقات وكفارهـا بـأن الله عـز وجل خلـق صور جميـع المخلوقات علـى مقتضى إجابتهـم وإنكارهم ولاية الأئمة الطاهرين، لمـا خاطبهم «**بألست بربكم ومحمد نبيكم وعلي والأئمة من ولده وفاطمة الصديقة أوليائكم؟**».

فمـن أجابه سبحانه بالإقـرار والاعتراف والتصديـق بهم وبولايتهم عليهـم السـلام خلـق بصورة حسنـة وهيئة طيبـة وطاهرة، ومـن أنكر وجحدهـم وعاداهم خلق بصـورة خبيثة وهيئة قبيحـة، فهم علة وسبب

للصـور الحسنة الطيبـة والخبيثة القبيحـة، بقبول ولايتهـم وإنكارهم. ونجـد ذلك فـي الحلاوة الموجـودة في العسـل والسكر والتمـر بقبولها ولايتهم عليهم السلام حلت وإلاّ كانت أمرُ من العلقم.

٤- العلة الغائية:

للموجـودات لأن الأشياء خُلقت لأجلهم وكما أن الله سبحانه إنما خلق الخلـق لهم وإيابهم إليهم وحسابهم عليهم، وهذا ما نشهده في الحديث القدسـي الموجـه للنبي محمـد صلى الله عليه وآله: «**خلقتك لأجلـي، وخلقت الأشياء لأجلـك**»[١]، كذلك خبر الصادق عليه السلام: «**نحن صنايع الله، والخلق بعد صنايع لنا**»[٢].

(١) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة: ج١، ص٥٦، ص٧٢.
(٢) جواهر الحكم: ج٢، ص١٣٧.

الدرس السادس
- حديث المعرفة (الغيبة):

أهداف الدرس:

١- ماذا نقصد كل من

أ- معرفة الله سبحانه و تعالى

ب- معرفة النبي (ص)

ج- معرفة الإمام

«اللهم عرّفني نفسك فإنك إن لم تعرّفني نفسك لم أعرف رسولك، اللهم عرّفني رسولك فإنك إن لم تعرّفني رسولك لم أعرف حجّتك، اللهم عرّفني حجّتك فإنك إن لم تعرّفني حجّتك ضللت عن ديني».

«أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده»[١].

اللهم عرفني نفسك: (معرفة الله):

معرفة الله سبحانه وتعالى لا تدرك ولا تحاط الذات لا حضوراً ولا تصوراً، كما قال الإمام الرضا عليه السلام لأبا الصلت: **«إن الله تبارك وتعالى لا يوصف بمكان ولا يدرك بالأبصار والأوهام»**، فهو المجهول المطلق لا يعرف إلاّ بالجهل به لعدم وجود مناسبة بين الحق والخلق مطلقاً قوله تعالى ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[٢]، ولم يكن للخلق طريق إلى معرفة الحق لا في الدنيا ولا في الآخرة فالأمر كما قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: **«السبيل مسدود والطلب مردود»**، **«ولم تجعل للخلق طريقاً إلى معرفتك إلاّ بالعجز عن معرفتك»**.

إذن كيف الطريق إلى معرفته عز وجل؟ لأنه سبحانه لم يخلقنا إلاّ للمعرفة والعبادة قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٣]، أجاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله «دليله آياته ووجوده إثباته»، أي الطريق الوحيد لمعرفته تعالى هي الآثار والآيات المخلوقة من الآفاق

(١) كتاب حق اليقين: ص٦٧.

(٢) سورة طه: آية ١١٠.

(٣) سورة الذاريات: آية ٥٦.

والأنفس قوله تعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[1] عن طريق الكتاب التكويني والكتاب التدويني والكتاب الناطق، وأفضلها الكتاب الناطق (أي معرفة محمد وآل محمد).

- اللهم عرفني نبيك (معرفة النبي صلى الله عليه وآله):

طالما معرفتنا لله عز وجل لا تكون إلاّ عن طريق النور المقدس التي خلقها الله من نور عظمته وجلاله وأودع فيها جميع الصفات الإلهية الجمالية والجلالية التي يتصف بها وأول هذه الصفوة المقدسة هو محمد بن عبدالله رسوله وحجته على خلقه، وعينه الناظرة، وأذنه الواعية، ورحمته الواسعة، وبابه الذي لا يؤتى إلا منه، ولم يعرفه حق المعرفة إلا الله وعلي عليه السلام، قول النبي صلى الله عليه وآله: «**يا عليّ لم يعرفني حق المعرفة إلاّ الله وأنت يا علي**»، طالما هو صلى الله عليه وآله في مقام الإجمال فمعرفة الله سبحانه لا تأتي إلاّ عن طريق معرفة الإمام لأنه في مقام التفصيل.

- اللهم عرفني حجتك (معرفة الإمام):

بعد استشهاد النبي صلى الله عليه وآله كل زمان له حجة، وحجج الله بعد الرسول اثني عشر إمام أولهم علي أمير المؤمنين عليه السلام وآخرهم الحجة بن الحسن عليه السلام، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يا علي أنت النبأ الذي فيه يختلفون، بك يُعرف المؤمن من المنافق، لا يحبك إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلاّ منافق**».

أمير المؤمنين عليه السلام هو الخليفة من بعد الرسول صلى الله عليه وآله بعدما أبلغه الله سبحانه في تبليغ الرسالة لخلافة علي عليه السلام ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ

(١) سورة فصلت: آية ٥٣.

مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[1]، أي لم تكتمل الرسالة إلاّ بالولاية.

فالولاية هي دين الحق وسوف يُظهره الله على جميع الأديان عند قيام قائم آل محمد عليهم السلام، ولو كره الكافرون بولاية علي عليه السلام.

إذن معرفة الله سبحانه عن طريق معرفة الإمام وإمامنا في هذا العصر هو الحجة ابن الحسن المهدي الثاني عشر من أئمة أهل العصمة وقد روت العامة والخاصة قول النبي صلى الله عليه وآله: «**من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية**».

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «**من أصبح من هذه الأمة لا إمام له من الله ظاهر عادل أصبح ضالاً تائهاً، وإن مات على هذه الحالة مات ميتة كفر ونفاق**».

(١) سورة المائدة: آية ٦٧.

الخاتمة

خلاصة الدورة أن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق لمعرفته وعبادته، فالمعرفة هي العلة الغائية للخلق ولكن معرفة كُنه ذاته وحقيقته محال وممتنع حتى نبيّنا ﷺ الذي هو أشرف وأعلم الأنبياء والمرسلين لا يعلم قوله تعالى ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[1] وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[2]، هو الظاهر هو الباطن حتى العقل والوهم والخيال وسائر المشاعر أيضاً عاجزة عن إدراك كنه ذاته إذ أنها في منتهى درجات البطون، أما آثاره فهي في أعلى درجات الظهور قوله تعالى في القرآن الكريم في خصوص بطون الذات ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾[3]، ويقول في خصوص ظهور الآثار والصفات ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[4]، والمراد من (وجه الله) عز وجل هو آثاره وصفاته التي تملأ جميع زوايا عالم الخلقة.

فانحصر تكليفنا بالمعرفة في الآثار والآيات المخلوقة من الآفاق والأنفس، فتستدل بالمخلوق على الخالق قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾[5]، إلاّ أنّ أقرب الآيات وأجلاها لمعرفة الرب عز وجل هي أنفس الخلائق أي النفس الناطقة التي أشار إليها أمير المؤمنين عليه السلام بقوله «**من عرف نفسه**

(١) سورة طه: آية ١١٠.
(٢) سورة الشورى: آية ١١.
(٣) سورة الأنعام: آية ١٠٣.
(٤) سورة البقرة: آية ١١٥.
(٥) سورة فصلت: آية ٥٣.

فقد عرف ربه»، لأن هذه النفس المخلوقة هي أقرب شيء للتوحيد من بقية المخلوقات الأخرى، وأن هذه النفس مخلوقة من نور الله عز وجل وليس المراد من نوره والعياذ بالله من ذاته عز وجل بل الله سبحانه خلق نوراً شريفاً ونسبه إلى نفسه كما نسب بيت الحرام الكعبة المشرفة إلى نفسه، وهذا النور ليس كمثله شيء من المخلوقات، فمن يعرف هذا النور المخلوق يعرف الله سبحانه معرفة حقيقة عن طريق خلقه وهذا لا يأتي إلاّ بالتربية الأخلاقية المروية عن أئمة الهدى (عليهم السلام)، فالذي لا يربي نفسه لا يمكن له معرفة هذه النفس لذا قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**من عرف نفسه**» أتى بمن الشرطية، وجواب الشرط هي الفاء «**فقد عرف ربه**» أي الذي يريد أن يعرف توحيد الله سبحانه عن طريق النفس الناطقة القدسية لا بد له من تربية نفسه عن رذائل الأخلاق، والاتصاف بفضائلها.

وبما أن هذه النفس مخلوقة من آثار نورهم عليهم السلام، فيكون عليه أن كل معرفة لتوحيد الله سبحانه فهي منهم، وهم ركن لتلك النفس الناطقة، أي لولاهم عليهم السلام لما كانت ولا عرفت التوحيد وهذا مصداق كلام الإمام الباقر عليه السلام: «**لولانا لما عرف الله**» يعني لولا نورهم عليهم السلام الذي خلق منه النفس الناطقة المعرّفة للتوحيد، كما تقدم عن أمير المؤمنين عليه السلام «**من عرف نفسه فقد عرف ربه**» لما عرف أحد معرفة الله تعالى

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- الكلمات المحكمات - الميرزا علي الحائري.

٣- شرح الزيارة الجامعة الكبيرة - الأوحد.

٤- الرسالة الإنسانية - الميرزا حسن الحائري.

٥- التوحيد - الشيخ الصدوق.

٦- جوامع الكلم - الشيخ الأوحد.

٧- نجاة الهالكين - الشيخ محمد بو خمسين.

٨- أصول الكافي - الكليني.

٩- حياة النفس وأصول العقائد - الشيخ الأوحد والسيد الأمجد.

١٠- كمال الدين وتمام النعمة - ابن بابويه القمي.

١١- تفسير الثقلين - الميرزا عبدالرسول الحائري الإحقاقي.

١٢- أصول الدين -الميرزا حسن الحائري الإحقاقي.

١٣- جواهر الحكم - السيد كاظم الرشتي.

١٤- كتاب فكّر (المعروف بتوحيد المفضل) -المفضل الجعفي الكوفي.

١٥- جواهر أسرار التنزيل - الميرزا حسن الشهير بكوهر.

١٦- الآمالي - الشيخ الصدوق.

١٧- منار العارفين وبغية العابدين - الشيخ محمد أبو خمسين.

١٨- نهج البلاغة - الشريف الرضي.

الفهرست

الموضوع **رقم الصفحة**

١- المقدمة ٣

٢- الدرس الأول: (التوحيد) ٥

٣- الدرس الثاني (كيفية معرفة الله عز وجل) ١١

٤- معرفة الكتاب التكويني ١٤

أ- العالم الأنفسي ١٤

ب- العالم الآفاقي ٢١

جـ- تطابق الآفاق والأنفس ٢٥

٥- الدرس الثالث (معرفة الكتاب التدويني) ٣١

٦- معرفة الكتاب الناطق ٣٤

٧- الدرس الرابع أهل البيت عليهم السلام هم العلل الأربعة في خلق الخلق ٤١

٨- شرح حديث المعرفة ٤٥

٩- الخاتمة ٤٩

١٠- المصادر ٥١